يهود المغرب العربي في إسرائيل

ديمة عبد الرحيم

لم تنل قضية الهجرة، من جانب علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، ما تستحق من اهتمام، إلا منذ عهد قريب. ففي وقتنا الحاضر، وفي سياق عملية التطور العالمي، يبدي علماء الاجتماع، والأجناس (الانثروبولوجيا) قدراً كبيراً من العناية بمشكلات الهجرة والمهاجرين، وذلك بعد أن غدت قضية الهجرة متغيراً بارزاً لا يستغنى عنه لفهم «المجتمعات الصغيرة» المغلّفة في إطار وحدات اجتماعية وثقافية تعاني الشعور بالغربة في داخل الأنظمة الاجتماعية ــ الثقافية التي تحيط بها من كل جانب.

يمكن القول، تعميماً، إن الهجرة تنسج أواصر معينة بين أناس من مشارب وأجناس وثقافات مختلفة، ومن مستويات متباينة في درجة التشكل الاجتماعي؛ وهذه الأواصر بدورها تفرز العديد من المشكلات. أما الدراسات التي ظهرت في مرحلة مبكرة، فلقد سلكت سبيلها إلى معالجة قضية الهجرة، بمقاربة أخذت منحى اجتماعياً ــ نفسياً. لكن توجّهاً علمياً جديداً قد أطلّ، مستمداً معالمه خصوصاً من لجة المشكلات التي خلقتها سياسات الادارات الاستعمارية، ومن الأثر الذي خلّفه الغرب وتقنياته على التجمعات الفلاحية والعشائرية شبه المعزولة.

ولقد توافر قدر هائل من البيانات والمعلومات في غمرة التعاطي مع مشكلات التحضّر والمهاجرة في أفريقيا. وهنا ينبغي أن نسجّل فضلاً كبيراً لمساهمة «بارنز» فيما طلع به من نظرية «تحليل الشبكة» في إطار علم الأجناس. فهذه النظرية التي تركز على دراسة الفصائل الاجتماعية والروابط القائمة بين الأفراد والجماعات في حيّز مكاني معيّن، غدت مبدأ مهماً حقاً من المبادىء اللازمة لدراسة الهجرة. فانطلاقاً من هذا المبدأ يمكن تناول مسائل الهجرة في العمق، ناهيك عما يسعفنا به ونحن نحاول استخراج القواعد العامة التي تحكم هذه المسائل. وبالطبع فإن آثار الهجرة رهن بنمط النظام الاجتماعي.

لكن هناك عوامل أخرى فائقة الأهمية لدراسة المهاجرين نذكر منها: أدوارهم